مع إشارة أحيانا إلى بعض الملابسات المحيطة بموقف النظم[١٠]. وربما كان كذلك من مظاهر هذه الروح لديه هذا الذوق المتفنن الذي يصر على إخراج دواوينه به، منذ أول ديوان (سنة ١٩٤٣) حتى ديوان «لفلسطين أغني» الذي يعده للنشر. فحسن، وهو الرجل الدمث، الرقيق الحاشية، اللين الجانب، له دائما من الأصدقاء الخطاطون والرسامون الذين يختار من بينهم من يخطون دواوينه المخطوطة والمعدة للطباعة*، ومن يحلونها بشيء من رسومهم، وهو لا يرضى إلا أن يقدم ما يطبعه من دواوينه على ترتيب خاص يرضى به ذوقه الرفيع، ولا يستطيع أن يقبل أي خطأ يستشعره في ديوان له او كتاب يتعلق به. وفي ديوانه «حيفا في سواد العيون»، يُذكر أنه أعدم ملزمة مطبوعة في خمسة آلاف نسخة لمجرد خطأ لغوي لم يرض أن يظهر في الديوان. وقد رد على لائمه في ذلك: «تعلم أنني لا ولد لي ولا زوج، وان هذا الديوان بمثابة ولدي، واسطره بمثابة جوارح ولدي، فكيف تريدني أن أترك في ولدي ما أكره»[١١]. وهكذا هو دائماً فيه شيء، بل كثير من وسوسة الرومانتيكيين، حتى بعض تصرفاته العادية.

ويمثل ديوانه الأول «الأصائل والأسحار» روحا رومانتيكية سابحة في عالم الحب وأجواء العاطفة الانسانية الأنيقة تتلبس شعره تلبسا، فهو شاعر الوجدان المبدع الذي تفيض نفسه بمشاعره الذاتية، وتنبىء روحه، صدقا ورهافة واخلاصا، مما يجعل معظم قصائده فيه تصلح للتغني والترنم بما وفر لها من رقة وخفة ومن تنوع في موسيقاها[١٢]. ونحن نحس، في شعر الحب لديه، روحا مستأنسة حزينة تفيض أسى ولوعة بسبب ما عاناه من إخفاق في كلا حبيه؛ فحبيبته الأولى كانت فتاة يهودية ربأ بنفسه ان يبني بها بسبب ما كان يوسم به الفلسطيني من خيانة وطنية في مثل هذه الحال. والثانية كانت ابنة أسرة تعد من أحلاس الوجهاء، رفض والدها ان يقبل بالشاعر بعلا لابنته، بسبب فقره وتدني طبقته الاجتماعية. ومن مظاهر الحزن والصدق في هذا الديوان مجموعة القصائد القليلة التي يرثي بها بعض اخوانه، حيث نراه يصر على ان يضع قصائده في الرثاء تحت عنوان «دموع»[١٣].

أما ديوانه الثاني «افراح الربيع»، فاننا نحس، منذ صفحاته الأولى، كيف ان الطبيعة الفلسطينية الوادعة الجميلة تشكل فيه، كما شكل الحب والجمال في ديوانه الأول، الموضوع الآخر من موضوعات الشعراء الرومانتيكيين. واذا كان اهدى ديوانه الأول الى (أمير شعراء الوجدان) احمد رامي، شاعر الحب، فانه، وبكل بساطة، يهدي هذا الديوان «الى الطيور التي اتخذت لها اوكارا من احضان السرو في وصيد المسجد الأقصى، اولى القبلتين، واطهر بقعة في بلادي الحبيبة، (سوريا الجنوبية)».

«فهي تزف موكب الفجر عند انبلاج الصباح، فتمزج نشيدها الساحر بالدعاء المحرك سكون الليل بروعته وجلاله من تلك المآذن السامقة نحو السماء، بعزة الايمان، عندما يبتسم ثغر الصباح فيلقى السحر باحلامه الى يقظة النور، على صوت: الله اكبر... الله اكبر... الصلاة خير من النوم، وهي تطفر فرحة مرحة...»[١٤].

---

* نشر ديوانه الأخير: حيفا في سواد العيون، مصورا بالأوفست عن مخطوطة صديقه الخطاط السوري المرحوم بدوي الديراني: انظر الديوان ص ٤٠ وانظر تعريفا بهذا الخطاط في الديوان ص ١٥٤ وما بعدها.